

خواطر وأفكار

للأستاذ أديب عباسي

يغلب أن يسيطر على الحياة في كلا عنصرها من السعادة والشقاء قانون المرجحات العام الذي يسيطر على جميع حوادث الطبيعة ويسير بها جميعاً ، كلما امتد الزمن وتوالى الحدوث ، إلى التعادل والاستواء ، ومازى من فروق شاسعة بين حظوظ الناس من السعادة والشقاء سنيه - فيما نرى - قصر مدى التجربة والاختبار . وأعتقد أن لو أتيح للأحياء من الناس عمر أطول ، أو لو كانت أمواج السعادة والشقاء وأصداء اللذة والألم أقل لبثاً وأقصر مكثاً ، لنداني من التعادل نصيب كل امرئ من حظى السعادة والشقاء

حياة كل امرئ « متوالية » من الآمال والآلام والأحلام والأعمال . ولست بمستطيع أن تجرّد الحياة حلقة واحدة من هذه الحلقات : الآمال تثير الآلام والأحلام ، والأحلام لا بد

عن أوضاع الممالك وتقسيمها الادارية ، وعن مراكز البريد ووسائل المواصلات البحرية . ويمتد كتاب العمري دستور المصطلح الشريف في مصر الاسلامية ؛ ويعتبره القلقشندي صاحب صبيح الأعمى أنفس الكتب المنفعة في هذا الباب ^(١) . وقد انتفع به القلقشندي في موسوعته أعظم انتفاع ، ونقل إلينا فوق ذلك طائفة كبيرة من الرسائل واللكابات السلطانية التي ديجت بقلم العمري في ظروف ومناسبات مختلفة ، وكلها دليل على ما كان يتمتع به العمري من المواهب الانشائية السامية

وللعمري آثار ورسائل أخرى كما قدمنا ، ولكن معظمها لم يصل إلينا ، وما زال بعضها يبيد عن التداول في بعض المكاتب الأوربية . على أن « مسالك الأبحار » يبق دائماً أعظم آثاره ؛ ورجوا أن تعمل دار الكتب المصرية لأخراجه بهمة مضاعفة فلا تضي أعوام قلائل حتى تضمه كاملاً بين أيدي الباحثين

القول ممنوع محمد عبد الله همام

(١) راجع صبيح الأعمى ج ١ ص ٧

مفضية في نهاية الأمر إلى الأعمال ، والأعمال بدورها تنبت آمالاً جديدة ، والأمل الجديد يثور آلاماً وأحلاماً جديدة ، وهكذا تظل تدور بين حدتين من الأمل والعمل بتوسطهما واسطانها ما نألم وما نحلم إلى أن تتلأ علينا القبور ، وتُرض علينا الجنادل والصخور

ليس مما ينقص قيمة العمل الطيب أن يكون حاديه ورائده اللذة منشودة أو حاصلة ، بل نحن نفتقد أن من مصلحة الأخلاق ، ومن الخير العميم للناس أن يتعلم الناس كيف يستشعرون السعادة ويتذوقون الغبطة في العمل الطيب بدءاً وختاماً ، حساً وخيالاً . كذلك نفتقد أن من مصلحة الأخلاق ونشر الفضيلة وتعميم الصلاح أن يشعر المرء أن عمل الخير مجزى عليه في هذه الحياة الدنيا ، وأن ليس على المرء يصنع الخير أن ينتظر إلى اليوم الأخير ليثاب على عمله الصالح وينال جزاء ما قدم من خير وأسلف من صلاح

يكاد يكون الاحساس بالحق ونصرة العدل من فطرة البشر ومن هنا ترانا - في الأحوال العادية - نهلّل للعدل ونقت الجور ، سواء أكتنا نحن المعنيين بالجور والعدل أم كان المعنى غيرنا

من غرائب الطباع امرؤ يشي عليك بما أنت أهله أو بما لمت أهله ، ثم تراه بغير سبب واضح أو علة مقبولة ينقلب عليك ، ولا يتعفف أن يهجوك بعكس ما كان يمدحه فيك ، هذا الصنف من الناس هم ، في اعتقادي ، من المتبوءة الجبناء الذين يستجدون امتداح الناس بامتداحهم الناس ؛ فإذا خاب ما يؤملون ، ولم يبادلهم بمدحهم مدحاً عدح انقلبوا قادحين مشتمين

ما أشبه بناء الأمة ببناء الهرم ؛ ما يزال قائماً ثابت الأركان ، ما شغل الرأس منه مكان الرأس ، والقاعدة مكان القاعدة ؛ وما أسرع ما ينهار الهرم وتضلك حيناً تنقلب الأوضاع فتسوء القاعدة إلى مكان الرأس ، ويبسط الرأس إلى مكان القاعدة ؛ ومن هنا أضحي الهرم القلوب مضرب المثل في سخافة البناء ووهن الثبوت

يموت العظيم في الغرب ، ولكن ما أسرع ما تُسدُّ الففرة
ويقوم الخلف . ويموت العظيم الشرق فيظل محله خالياً جيلاً أو
أجيالاً . وذلك أن تربتنا الاجتماعية الناقصة لا ترفع إلى مستوى
الرعاية الصحيحة القوية في الجيل الواحد إلا نفراً قليلاً جداً ،
فاذا أودى هذا النفر ظلَّ معلم خالياً إلى أن تنمخض الأمة بهد
حمل طويل وآلام مبرحة وتجارب شاقة فتلد المولود الجديد الذي
يُقدَّر له أن يستأنف السير ويتولى القيادة

قد يعمد الرجل الشرير إلى بعض الخير بصنمه ليتبين كيف
يكون أثر ذلك ، كما قد يسمي الرجل الطيب إلى بعض الشر بصنمه
لمثل عرض الشرير في صنعه الخير . وإلى هذا قد يُردُّ بعض
ما نراه من شذوذ في الخلق السوي

قد يبدو الفكر العميق للقارئ السطحي الضحل متناقضاً ،
وذلك ان ذا الفكر العميق قد ينتهي إلى أغوار لا يستطيع أن
ينفذ إليها فخلل التفكير ، ويدرك من الملائق والوشاح الخفية بين
الأشياء ما لا يدركه ذو الفكر القراق الذي لا غور له

المصادفة بليغة الأثر في حياة الفرد ، أما في حياة الأمة فهي
ضئيلة الأثر أو لا أثر لها البتة

ما من رأي إلا ودار في أكثر من ذهن واحد ، ولكن
شخصاً واحداً يكتب له أن يخلد هذا الرأي

الرأي يرتأى كالصدى يكثر تجاوبه كلما استوعب طريقه

الألم كالنار يصهر القوى ولكن لا يلاشيه ، كما لا تلاشي
النار الحديد ، أما الضعيف فيجعله الألم دخاناً يصاعد

قد يتصدى المرء أحياناً للرأي العام لا ليتحداه ، إنما هو
يتصدى له ليدرك مبلغ قوته ثم يدرك مدى الرأي العام ومجراه ،
فيحول شراع العمل على هواء

الرجل القوى حق القوة لا يخلق بهذه القوة عبيداً وآلات

لست أدري أي خير وأية سعادة كانا بصبيان البشر لو أقصى
من مجال الدين جميع المتجربين به . فليثق الله المتاجرون وليجعلوا
في غير مجال الدين مجازتهم

تظل تجربة المرء ناقصة ما لم تتكرر . . .

خصومتك الصغير تورثك المهانة ، سواء أكنت المنتصر في
هذه الخصومة أم كنت الخاسر

الأغراب والتكلف في أساليب الحياة والأخلاق دليل على
فساد الطبع والتواء التكوين

قد تكون المحافظة على القديم ناجمة من خوف الحديث
وحسب ، لا من حب للقديم صحيح

ثم صنف غريب من الكتاب والمفكرين يعمدون إلى الرأي
الواهن الواهي ، أو الفكرة الميتة يثيرون حولها حرباً شعواء
ويوسمونها طعناً وضرباً ، ثم يلتفتون إلى الناس ولسان التروير
يقول : انظروا ماذا صنعنا وإلى أي المقاتل قد نفذ سلاحنا ؟ وقد
نسوا - حفظهم الله وكلامهم - أن سلاحهم يُجرد على موتى ويُشرع
على أشلاء

قد يمشي الكاتب بشهرته الأدبية أعواماً بمد أن يصنع .
وهذا سرُّ ما نراه من مدح يكال وتقدير يُسرف في توزيعه على
أناس لا يستحقون بعض أبعاضه . والحقيقة أن من الكتاب
اليوم من يعيشون بقوة الاستمرار وحسب ، لا بقوة العمل
وصدق الانتاج

ما أسرع ما يلتفت صغار النفوس حول صغير النفس ، أما
كبير النفس فلا يسمع لهم بالدنو منه لثلاث تعلق به من تنهم عاقلة .
الأنجار بالوطنية في الشرق علة مستحكمة لا يزيلها إلا صرامة
النقد ، وصراحة المقت ، وقسوة التشهير

ناطقة، إنما يخلق بها رجالاً أقوياء . وكل مظهر من مظاهر القوة لا يفضى الى هذه النتيجة يجب أن يشككنا في هذه القوة

يجب أن ندخر خصومة الصراحة وجهد المقاومة للأمر والجسام والمسائل العظام . أما الصراحة المادية في كل ما يعرض للمرأة من شؤون الحياة اليومية فافهمها وجليلها على السواء فجهد غير مبرور وعمل غير مشكور ، ولا يعود على الصريح منه إلا خصومات لا تنتهي وعداوات لا تنقضى

ما تزال المرأة طفلة حتى تحب ، وما يزال الرجل رجلاً حتى يحب . ومتى أحبت المرأة بلغت أوج الأنوثة ؛ أما الرجل السليم القوى فيندر أن يجعل الحب آخر مرحلة من مراحل الحياة ، وهو - أي الحب - عند الرجل مرحلة الى رجولة اسمى . فالمرأة تتجه الى الحب لا لتتمدها ، أما الرجل فيحب ليكون الحب مرحلة من مراحل حياته . وهذا يشير الى أن الحياة تريد من المرأة الحب فقط ، وتريد من الرجل فضلاً عن الحب الجهاد والغامرة

يجب ألا يفرّ الشبان بيت شوق « نظرة فابتسامة . . . » ثم ما بعد ذلك . فبين النظرة والابتسامة - في كثير من الأحيان - وبين قلب الفتاة سبع قلاع بسبعة أسوار

رُكِّب في طبيعة المرأة التلويح من بريد والاغراء . فهي قد تتبدل أحياناً ولو لم تنو السقوط ، وتدنو ولكن لا لتصل ، وتقرب ولكن لا لتقبل . فكأنها تمتد الى ذلك لتقيس مقدار قنيتها وتختبر قوة أنوثتها

الرجولة لا تكون كاملة إلا إذا خالطها بعض طبائع الأنوثة . فكأن الطبيعة في ذلك لا تريد للرجل أن يتخلص من إرث الأنوثة الأقدم ، حينما كانت الذكورة لا تزال في ضمير النيب ، وكانت الأنوثة كل ما في يد الطبيعة من مواد التجريب والاختبار

ثورة الحب تفضي الى أسر الزواج ، وثورة الحقد والطمع تفضي الى أسر السجن

نداء الأمومة عند المرأة أقوى من نداء الحب . وكثيراً ما تضحي المرأة بجها في سبيل الأمومة السالمة والنسل للقوى القويم

لا يستطيع إبليس - في كثير الأحيان - أن يتراءى للرجل الا عن طريق المرأة . فهي - في أغلب الأحيان - سفيره اليه . وكثيراً ما تنجح هذه السفارة كما نجحت من قديم في جنات عدن

حياة المرأة أنشودة يتناوب انشادها الملائكة وإبليس

حب الأم أشرف أنواع الحب وأعمقه وأدومه . وذلك أن فيه من حب الأبنه وحب الأخت وحب الماشقة وحب العابدة . فالأم إذ تحب وليدها وترأمة لا تحبه وترأمة كوليده فقط ، إنما هي ترأمة وتحميه ، ولو في غير شعور ، حب الأبنه أبويها ، والأخت أخاها ، والماشقة عاشقها ، والعبادة مبيودها

من مظاهر الفسولة وصغار الرجولة أن يتمسق الفتى فتاه ، ثم لا يفتأ يعلن عن هذا الشق وينبئه اليه في كل مناسبة . وعند كل حديث ؛ فكأنه الكلب يلغ في الأناء أو يبول فينه لينفر منه بقية السباع

في الزمان غير المحدود والمكان غير المحدود يكون احتمال الحدوث غير محدود أيضاً . ولا أدري لم يستبعد أو ينفي حدوث حدث بقدر أو يفترض بحجة بعد الاحتمال

أريب عباسي

اعلان من الرسالة

- (١) لا تنشر الرسالة إلا ما كتب لها خاصة
- (٢) لا تنشر الرسالة المقالات المسلسلة إلا إذا أرسلت إليها المسلسلة كاملة
- (٣) لا تنشر الرسالة قطعة مترجمة ما لم يرسل أصلها معها